

نماذج من الرقي الأخلاقي

(١٧)

إعداد الدكتور

عبد العزيز بن عبد الله الحميدي

الأستاذ بجامعة أم القرى

والمدرس بالمسجد الحرام



بسم الله الرحمن الرحيم





مواقف في العدل والمسؤولية

(٣)





من مواقف أمير المؤمنين عمر بن

عبد العزيز رحمه الله

أخرج الحافظ أبو نعيم
الأصبهاني من خبر بشر بن
عبدالله بن عمر عن بعض آل
عمر أن هشام بن عبد الملك قال
لعمر بن عبدالعزيز: يا أمير
المؤمنين إني رسول قومك إليك،
وإن في أنفسهم ما أكلمك به، إنهم
يقولون استأنف العمل برأيك



فِيمَا تَحْتَ يَدَيْكَ، وَخَلَّ بَيْنَ مَنْ
سَبَقَكَ وَبَيْنَ مَاوَلُوا مِمَّنْ كَانُوا
يَلُون أَمْرَهُ بِمَا عَلَيْهِمْ وَلَهُمْ فَقَالَ لَهُ
عَمْرُ: أَرَأَيْتَ لَوْ أُتِيتُ بِسَجَلَيْنِ
أَحَدُهُمَا مِنْ مَعَاوِيَةَ وَالْآخَرُ مِنْ
عَبْدِ الْمَلِكِ بِأَمْرِ وَاحِدٍ فَبَأَيِ
السَّجَلَيْنِ كُنْتَ آخِذٌ؟ قَالَ بِالْأَقْدَمِ
وَلَا أَعْدِلُ بِهِ شَيْئًا، قَالَ عَمْرُ:
فَإِنِّي وَجَدْتُ كِتَابَ اللَّهِ الْأَقْدَمَ فَإِنَا
حَامِلٌ عَلَيْهِ مِنْ أَتَانِي مِمَّنْ تَحْتَ



يدي في مالي وفيما سبقني .
فقال له سعيد بن خالد بن
عمرو بن عثمان: يا أمير المؤمنين
امض لرأيك فيما وليت بالحق
والعدل، وخل عمن سبقك وعمما
ولي خيره وشره، فإنك مكثف
بذلك. فقال له عمر: أنشدك الله
الذي إليه تعود رأيت لو أن
رجلا هلك وترك بنين صغارا
وكبارا فعز الأكابر الأصاغر



بقوتهم فأكلوا أموالهم، فأدرك
الأصاغر فجاءوك بهم وبما
صنعوا في أموالهم ماكنت
صانعا؟ قال: كنت أرد عليهم
حقوقهم حتى يستوفوها. قال:
فإني قد وجدت كثيرًا ممن قبلي من
الولاة عزوا الناس بقوتهم
وسلطانهم. وعزهم بها أتباعهم.
فلما وليت أتوني بذلك، فلم
يسعني إلا الرد على الضعيف من



القوي، وعلى المستضعف من
الشريف. فقال: وفقك الله يا أمير
المؤمنين^(١).

فهذان جوابان جليان من
أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز
استطاع بهما أن يسكت هشام بن
عبد الملك وسعيد بن خالد بن

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٨٢.



عمرو بن عثمان اللذين حاوراه
فيما قام به من رد المظالم، فقد
سكت هشام ووافق سعيد بن
خالد ودعا لعمر بن عبد العزيز،
وهذا دليل على أن أولئك القوم
الذين ورثوا الظلم يدركون أن
ماتقدم به الولاة السابقون كان
ظلمًا، ويريدون من عمر بن عبد
العزيز أن يترك الناس على
مظالمهم فإنه ليس مسؤولًا عن



ظلم من سبقه وأن يهتم فقط
بتنزيه نفسه عن مباشرة الظلم،
ولكنه أفهمهم بأنه لو أقر ظلم
من سبقوه يكون شريكا لهم في
ظلمهم.



إنصافه الرجل الحمصي من العباس بن الوليد :

ذكر الحافظ ابن الجوزي من
خبر عبد العزيز بن عمر بن عبد
العزيز قال: لما دفن عمر سليمان
صعد إلى المنبر فقال « إني قد خلعت
ما في أعناقكم من بيعتي فاختراروا
لأنفسكم، فصاح الناس صيحة
واحدة : قد اخترناك » فنزل فدخل
فأمر بالستور فهتكت ، والثياب التي



كانت تبسط للخلفاء فحُمِلَتْ وأمر
ببيعها وإدخالها - أو قال إدخال
ثمنها- بيت المال ، ثم ذهب يتبوأ
مقيلاً، فقال ابنه عبد الملك تقيل
ولاترد المظالم؟ قال أي بني قد
سهرت البارحة في أمر عمك
سليمان، فإذا صليت الظهر رددت
المظالم، قال من لك أن تعيش إلى
الظهر؟ فخرج ولم يَقُلْ ، فأمر مناديه
أن ينادي: ألا من كانت له مظلمة



فليرفعها ، فقام إليه رجل ذمي من
أهل حمص أبيض الرأس واللحية ،
فقال يا أمير المؤمنين أسألك كتاب
الله ، قال وماذاك ؟ قال : العباس بن
الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي
—والعباس جالس— فقال له : يا عباس
ما تقول ؟ قال أقطعنيها أمير المؤمنين
الوليد بن عبد الملك وكتب لي بها
سجلا ، فقال ما تقول يا ذمي ؟ قال يا
أمير المؤمنين أسألك كتاب الله عز



وجل ، فقال عمر : كتاب الله أحق
أن يتبع من كتاب الوليد بن عبد
الملك، اردد عليه ياعباس ضيعته ،
فرد عليه ، فجعل لا يدع شيئاً مما كان
في يده وفي يد أهل بيته من المظالم إلا
ردها مظلمة مظلمة ^(١) .

فهذا الخبر مثلاً من صرامة عمر

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز / ٨٦ .

بن عبد العزيز وحزمه في تطبيق
الأحكام الشرعية ، فهو لين رحيم
فيما يتعلق بنفسه ولكنه قوي شديد
فيما يتعلق بأحكام الله تعالى .
وفي هذا الخبر مثّل من انقلاب
المفاهيم عند أهل الدنيا ، فالحق عند
هذا الرجل المعتدي هو ماقرره أبوه
الوليد وإن كان ظالماً معتدياً من غير
نظر فيما ينجمه من المسؤولية أمام الله
تعالى يوم القيامة ، وما أعظم خسارة



هؤلاء الذين يعتدون على أموال
الناس ولا يردعهم من ذلك إلا قوة
السلطان !! فإنهم قد خسروا دنياهم
لانتزاعها منهم بالقوة وخسروا
آخرتهم لأنهم ليس لهم نية في إنصاف
المظلومين ورد حقوقهم إليهم .



خبره مع الأسير الأعمى :

من الأمثلة الرائعة لرحمة عمر
ابن عبد العزيز رحمه الله واهتمامه
بالمسؤولية ما أخرجه ابن عبد الحكم
قال : وأرسل عمر بن عبد العزيز إلى
صاحب الروم رسولا ، فأتاه وخرج
من عنده يدور ، فمر بموضع فسمع
فيه رجلا يقرأ القرآن ويطحن ، فأتاه
فسلم عليه فلم يرد عليه السلام -
مرتين أو ثلاثا - ثم سلم عليه ، فقال



له:وأَنَّى بالسلام في هذا البلد!
فأعلمه أَنه رسول عمر إلى صاحب
الروم، فقال له: ماشأَنك؟ فقال: إني
أسرت من موضع كذا وكذا ، فَأُتِي
بي إلى صاحب الروم ، فعرض عَلَيَّ
النصرانية فأبيت ، فقال لي : إن لم
تفعل سَمَلْتُ عَيْنِكَ، فاخترت ديني
على بصري، فسَمَل عَيْنِي وصَيَّرني
إلى هذا الموضع ، يرسل إلي كل يوم
بحنطة أطحنها وبخبزة آكلها .



فسار الرسول إلى عمر بن عبد
العزیز فأخبره خبر الرجل قال : فما
فرغت من الخبر حتى رأيت دموع
عمر قد بَلَّتْ ما بين يديه .

ثم أمر فكتب إلى صاحب
الروم : أما بعد فقد بلغني خبر فلان
ابن فلان فوصف له صفته ، وأنا
أقسم بالله لئن لم ترسله إلي لأبعثن
إليك من الجنود جنودًا يكون أولها
عندك وآخرها عندي .



فلما رجع إليه الرسول قال: ما
أسرع مارجعت ! فدفع إليه كتاب
عمر بن عبد العزيز، فلما قرأه قال:
ما كنا لنحمل الرجل الصالح على
هذا ، بل نبعث إليه به .

قال: فأقمت انتظر متى يخرج
به ، فأتيته ذات يوم فإذا هو قاعد قد
نزل عن سريره أعرف في وجهه
الكآبة ، فقال: تدري لما فعلت هذا ؟
فقلت : لا - وقد أنكرت مارأيت -



فقال: إنه قد أتاني من بعض أطرافي
أن الرجل الصالح قد مات ، فلذلك
فعلت ما فعلت ، ثم قال : إن الرجل
الصالح إذا كان بين القوم السوء لم
يُترك بينهم إلا قليلا حتى يُخرج من
بين أظهرهم .

فقلت له: أتأذن لي أن أنصرف
- وأيست من بعثه الرجل معي -
فقال: ما كنا لنجيبه إلى ما أمر في
حياته ثم نرجع فيه بعد مماته ،



فأرسل معه الرجل^(١) .

هذا وإن في هذا الخبر ثلاثة
أمور مهمة :

أ - موقف هذا الرجل المسلم
الذي فضّل البقاء على دينه ، وتحمّل
سمل عينيه بالحديد المحمي بالنار

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم
١٦٨/ .



حتى فقد بصره، وهنا يقف المتأمل
مندهباً من هذا المشهد المثير، الذي
يدل على قوة الإيمان بالإسلام
والقناعة به، حيث فضل هذا الرجل
دينه على صحته وحياته، لأنه يُعَدُّ
هذا الدين هو حياته الحقيقية، ويُعَدُّ
مفارقة الإسلام موتاً لا يدانيه موت.
ولاشك أنه كان لهذا الموقف
العالي وأمثاله الأثر البالغ في الدعوة
إلى الإسلام، لأن العقل السليم يدل



على أن المبدأ الذي يفضلُه صاحبه
على حياته لا يمكن أن يكون عاديًّا
كمبادئ البشر المعروفة، لأن المبادئ
تُستخدم عادة لرفع قيمة الإنسان في
هذه الحياة، فلا يمكن أن يضحّي
الإنسان بحياته من أجلها، وهو إنما
يستخدمها للحياة، فلا بد أن المبدأ
الذي يبذل صاحبه حياته من أجله
وراءه دافع أقوى ومستقبل أكبر من
هذه الحياة، ولا يمكن أن يوجد ذلك



إلا في الإسلام الذي كرم الله تعالى
فيه الشهداء والذين أودوا في سبيل
هذا الدين، ورفعهم درجات عليا
في الجنة .

هذا الرجل المسلم المغمور
الذي لم يُذكر اسمه مثلاً هذا الموقف
الكبير، فكم في هذه الأمة الإسلامية
من المغمورين الذين يزن إيمانهم
الجبال الراسيات !

وإذا كان هذا في المغمورين



فكيف الحال بالمشاهير الذين لمعت
أسماءهم في مجال التضحية
والفداء؟!!

ب - وفي هذا الخبر مثل من
رحمة عمر بن عبد العزيز البالغة
وإشفاقه على المسلمين حيث بكى
ذلك البكاء الشديد من خبر ذلك
الأسير .

ومثل من اهتمامه العظيم
بأمور المسلمين حيث كتب إلى ملك



الروم يهدده ذلك التهديد القوي إن
لم يُفرج عن ذلك الأسير .

ج - كما أن في هذا الخبر بياناً
لأثر العدل في الحكم حتى على
الأعداء المحاربين ، فحينما جاء
كتاب عمر الذي بلغ حداً عالياً في
التهديد لملك الروم ما كان من هذا
الملك إلا أن قال : ما كنا لنحمل
الرجل الصالح على هذا .

وحينما بلغه موت عمر تأثر



بذلك وظهرت الكآبة على وجهه ،
وذلك لأنه حتى الأعداء ينعمون
بعدل الأمراء من أعدائهم ، لأنهم
يأمنون خيانتهم وظلمهم لهم
ولأتباع دينهم الذين يعيشون في
بلاد هؤلاء الأمراء .

وقد بلغ بملك الروم التأثير
بعدل عمر إلى حد أنه وفي بما وعد
به حتى بعد موته وقال: ما كنا
لنجيبه إلى ما أمر في حياته ثم نرجع
فيه بعد مماته .



من مواقف طاووس بن كيسان رحمه الله

من الوصايا النافعة ما رواه
محمد بن المثنى العنزي قال حدثنا
مُطَهَّر بن الهيثم الطائي عن أبيه قال:
حج سليمان بن عبد الملك، فخرج
حاجبه فقال: إن أمير المؤمنين قال:
ابغوا لي فقيها أسأله عن بعض



المناسك، قال: فمرّ طاووس^(١) فقالوا:
هذا طاووس اليماني فأخذه الحاجب،
فقال: أجب أمير المؤمنين، قال:
أعفني، فأبى، ثم أدخله عليه، قال
طاووس: فلما وقفت بين يديه قلت:
إن هذا لمجلس يسألني الله عنه،
فقلت: يا أمير المؤمنين إن صخرة

(١) هو عالم اليمن طاووس بن كيسان .



كانت على شفير جبٍّ في جهنم هوت
فيها سبعين خريفا حتى استقرت
قارها، أتدري لمن أعدها الله؟ قال:
لا، ويلك لمن أعدها؟ قال: لمن أشركه
الله في حكمه فجار، قال: فكبّا لها^(١).
[أي تأثر وأخذ به الهم].

فهذه موعظة بليغة من الإمام

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٢).

طاووس بن كيسان اليماني الذي قلَّما
يدخل على الولاة، فلما ساقه القدر
لللقاء أمير المؤمنين سليمان بن عبد
الملك اغتنم تلك الفرصة ليتقرب إلى
الله تعالى بعمل هو من أعلى الأعمال
وأزكاها، وهو تقديم النصيحة لولي
الأمر، فذكره بما أعده الله جل وعلا
لأولياء الأمور من العذاب يوم
القيامة إذا جاروا في حكمهم، فتأثر
سليمان بن عبد الملك من موعظته،



ولعله كان لها أثر في ميله نحو العدل.
وكون طاووس ذكر الله تعالى
وموقفه بين يديه يوم القيامة دليل
على قوة إيمانه وعمق يقينه، فكان
ذلك دافعا إلى تقديم النصيح للأمير
المؤمنين وتذكيره بشيء من هول يوم
القيامة الذي أُعدَّ لمن حكم ولم يعدل،
ولو كانت الدنيا هي التي تعمر قلب
ذلك العالم لانصرف إلى الشناء على
ذلك الأمير وتعداد فضائله.



من مواقف القاضي أبي يوسف رحمه الله

ذكر الحافظ ابن كثير في ترجمة
القاضي أبي يوسف يعقوب بن
إبراهيم أنه قال: وليتُ هذا
الحكم وأرجو الله أن لا يسألني
عن جور ولا ميل إلى أحد إلا
يوما واحدا، جاءني رجل فذكر
أن له بستانا وأنه في يد أمير
المؤمنين، فدخلت إلى أمير
المؤمنين فأعلمته فقال: البستان لي



اشتراه لي المهدي، فقلت: إن رأى
أمير المؤمنين أن يُحضره لأسمع
دعواه، فأحضره فادعى
بالبستان، فقلت: ماتقول يا أمير
المؤمنين؟ فقال: هو بستاني،
فقلت للرجل: قد سمعت ما
أجاب، فقال الرجل: يحلف،
فقلت: أتحلف يا أمير المؤمنين؟
فقال: لا، فقلت: سأعرض
عليك اليمين ثلاثاً فإن حلفت
وإلا حكمت عليك يا أمير



المؤمنين، فعرضتها عليه ثلاثا
فامتنع، فحكمت بالبستان
للمدعي، قال: فكنت في أثناء
الخصومه أود أن انفصل، ولم
يمكنني أن أجلس الرجل مع
الخليفة، وبعث القاضي
أبويوسف في تسليم البستان
للرجل^(١).

(١) البداية والنهاية ١٠/ ١٨٧ .



فهذا شيء عظيم أن يحكم
القاضي أبو يوسف تلك
السنوات الطويلة وهو يتحرى
العدل ويطبقه ولم يظلم أحداً،
وإن كان قد شعر بخطئه في
مقدمات الحكم في هذه القضية ،
حيث لم يُجلس الخليفة وخصمه
في مجلس سواء، مع أنه قد حكم
على الخليفة لصالح خصمه،
وكونه أصدر هذ الحكم، وكونه



أيضا أظهر ندمه على عدم
المساواة بين الخليفة وخصمه
دليل على قوة إيمانه وورعه .
فما أعظم هذا القاضي وأمثاله
من القضاة الذين يحكمون على
أعلى مسؤول في العالم !!



من مواقف القاضي يوسف بن يعقوب رحمه الله

ذكر الحافظ ابن كثير في ترجمة
القاضي يوسف بن يعقوب بن
إسماعيل بن حماد بن زيد قال: ولي
قضاء البصرة وواسط والجانب
الشرقي في بغداد، وكان عفيفا
شديد الحرمة نَزَها، جاءه يوماً
بعض خدم الخليفة المعتضد
فترفع في المجلس على خصمه،



فأمره حاجب القاضي أن يساوي
خصمه فامتنع إدلالاً بجأهه عند
ال خليفة ، فزبره القاضي وقال:
ائتوني بدلال النخس حتى أبيع
هذا العبد وأبعث بثمانه إلى
ال خليفة ، وجاء حاجب القاضي
فأخذ بيده وأجلسه مع خصمه،
فلما انقضت الحكومة رجع الخادم
إلى المعتضد فبكى بين يديه فقال
له: مالك؟ فأخبره بالخبر وما أراد

القاضي من بيعه، فقال: والله
لوباعك لأجزت بيعه ولما
استرجعتك أبدا، فليس
خصوصيتك عندي تزيل مرتبة
الشرع، فإنه عمود السلطان
وقوام الأديان^(١).

فهذا مثل من عدل القضية

(١) البداية والنهاية ١١٩/١١ .



في الإسلام وعدم محاباتهم
أصحاب الجاه والمنزلة، ولقد
كان هذا القاضي العادل يوسف
ابن يعقوب شديداً على ذلك
الخادم الذي أراد أن يهين الدين
بعدم استسلامه للقاضي، وترفعه
عن مساواة خصمه، ولقد أثر فيه
هذا الموقف القوي حتى أبكاه
أمام الخليفة، ولكنه كان أمام
خليفة عادل ، حيث وبخه على



ماكان منه من الترفع والإدلال
بصلته به، وهذا موقف يذكر
لأمير المؤمنين المعتضد مع مواقفه
المشهورة في العدل وتعظيم
حرمات الدين .



من مواقف القاضي حفص بن غياث
رحمه الله

من أمثلة عدل حفص بن
غياث ما ذكره ابن خلكان من
خبر غنام بن حفص قال: باع
رجل من أهل خراسان جِمالاً
بثلاثين ألف درهم من مرزبان
المجوسي وكيل أم جعفر^(١) فمطله
ثمنها وحبسه عن سفره، وطال

(١) هي زوجة أمير المؤمنين هارون الرشيد .

ذلك على الرجل ، فأتى بعض
أصحاب حفص بن غياث
فشاوره فقال له: اذهب إليه فقل
له: أعطني ألف درهم وأحيل
عليك ببقية المال وأخرجُ إلى
خراسان: فإذا فعلتَ هذا فأخبرني
حتى أشير عليك، ففعل الرجل
وأتى مرزبان فأعطاه ألف درهم
فرجع إلى الرجل فأخبره فقال:
عد إليه فقل له: إذا ركبت غداً
فطريقك على القاضي تحضر،



وَأُوْكُلُ رَجُلًا بِالْقَبْضِ عَلَى الْمَالِ
وَأَخْرُجُ، فَإِذَا جَلَسَ إِلَى الْقَاضِي
فَادَّعَ عَلَيْهِ بِمَا بَقِيَ لَكَ مِنَ الْمَالِ،
فَإِذَا أَقْرَحَبَسَهُ الْقَاضِي وَأَخَذَتْ
مَالَكَ .

فَرَجَعَ إِلَى مَرْزَبَانَ فَسَأَلَهُ
فَقَالَ: انتظرنى بىاب القاضى، فلما
ركب من الغد وثب إليه الرجل
وقال: إن رأيت أن تترك إليَّ
القاضي حتى أُوكِّلَ بقبض المال
وأخرجُ، فنزل مرزبان إلى



حفص المذكور فقال الرجل:
أصلح الله القاضي، لي على هذا
الرجل تسعة وعشرون ألف
درهم، فقال حفص: ماتقول
يامجوسي؟ قال: صدق، أصلح
الله القاضي، فقال القاضي:
ماتقول يارجل فقد أقرّ لك،
فقال: يعطيني مالي، فأقبل حفص
على المجوسي فقال: ماتقول؟
فقال: هذا المال على السيدة،



فقال: أنت أحق تقرر ثم تقول على
السيدة؟ ماتقول يارجل؟ قال:
أصلح الله القاضي إن أعطاني مالي
وإلا حبسته، قال حفص: ماتقول
يامجوسي؟ قال: المال على السيدة،
فقال حفص: خذوا بيده إلى
الحبس .

فلما حُبس بلغ الخبر أم جعفر
فغضبت وبعثت إلى السندي:
وجّه إلى المرزبان، وكانت القضاة



تحبس الغرماء في مجلس الشرط،
فأُخرجَه، وبلغ الخبر حفصًا
فقال: أحبس أنا ويُخرج
السندي؟ لاجلست مجلسي هذا
أو يردّ مرزبان إلى الحبس، فجاء
السندي إلى أم جعفر فقال: الله
الله فيّ، إنه حفص بن غياث
وأخاف من أمير المؤمنين أن يقول
لي: بأمر من أخرجته؟ رديه إلى
الحبس، وأنا أكلّم حفصًا في أمره،



فرجع مرزبان إلى الحبس^(١) .

فهذا الخبر فيه موقف قوي
للقاضي حفص بن غياث، حيث
حكم على وكيل زوجة أمير
المؤمنين هارون الرشيد، وحيث
غضب حينما أخرج رئيس
الشرطة ذلك الرجل الذي حبسه

(١) وفيان الأعيان ٢/ ١٩٩ .

حفص وصمم على ترك القضاء
إن لم يرجع ذلك الرجل إلى
الحبس.

وهكذا تكون مواقف القضاة
الذين يريدون بعملهم وجه الله
تعالى ولا يعظمون معه مخلوقا
يرجونه أو دنيا يعملون لها، فإن
من كان كذلك فإن عظمة الله
تعالى وخشيته ورجاءه تتضخم في
القلب حتى تملأه فلا يكون فيه



متسع لأي قوة من القوى
الدنيوية، وبذلك يكتسب
صاحب هذا القلب جرأة فائقة
وقوة خارقة، ويسخر الله تعالى له
قلوب عباده إكراما له ومثوبة على
خلوص نيته وحسن عمله .

ومن مواقفه العالية في
القضاء أنه كان يعدُّ نفسه أجيرا
فلا يشتغل في الوقت المخصص
للقضاء بغيره، حتى لو كان الذي



سيشغله أمير المؤمنين، وفي ذلك
يقول ابن خلكان: وقال
الخطيب: كان حفص بن غياث
المذكور جالسا في الشرقية
للقضاء^(١) فأرسل إليه الخليفة
يدعوه فقال لرسوله: حتى أفرغ
من الخصوم، إذ كنت أجيرا لهم،

(١) يعني الجهة الشرقية من بغداد .



وأصير إلى أمير المؤمنين، ولم يقم
حتى تفرق الخصوم^(١).
وكان لا يعدُّ نفسه مستحقاً
لراتب القضاء إذا لم يحضر حتى
لو كان معذوراً بالمرض، وفي
ذلك يقول غنام بن حفص:
مرض أبي خمسة عشر يوماً فدفع

(١) وفیات الأعيان ١٩٨/٢ .



إلى مائة درهم وقال: امض بها إلى
العامل وقل له: هذه رزق خمسة
عشر يوما لم أحكم فيها بين
المسلمين لاحظ لي فيها ^(١).

وهذان مثالان جليان في
الورع والعفة ومحاسبة النفس،
وهذا يدل على قوة إيمان القاضي

(١) وفيات الأعيان ١٩٨/٢.



حفص بن غياث وغزارة علمه
رحمه الله تعالى .



**من مواقف أمير المؤمنين المعتضد
بإالله رحمه الله**

من ذلك ما ذكره الحافظ ابن
كثير في ترجمته قال: ورَوَى ابن
الجوزي عن بعض خدام المعتضد
قال: كان المعتضد يوماً نائماً وقت
القائلة، ونحن حول سريره،
فاستيقظ مذعوراً ثم صرخ بنا
فجئنا إليه، فقال: ويحكم اذهبوا
إلى دجلة فأول سفينة تجدونها



فارغة منحدره فأُتُونِي بملاحها
واحتفظوا بالسفينة، فذهبنا
سراعا فوجدنا ملاحا في
سَيِّمِريَّة^(١) فارغة منحدرًا، فأتينا به
الخليفة، فلما رأى الملاح الخليفة
كاد أن يتلف، فصاح به الخليفة
صيحة عظيمة، فكادت روح

(١) هي السفينة الصغيرة .

الملاح تخرج، فقال له الخليفة:
ويحك اصدقني عن قصتك مع
المرأة التي قتلتها اليوم وإلا
ضربت عنقك.

قال: فتلعثم ثم قال: نَعَمْ يا
أمير المؤمنين كنت اليوم سحرًا
في مَشْرَعتي الفلانية فنزلت
امرأة لم أر مثلها وعليها ثياب
فاخرة، وحليّ كثير وجوهر،
فطمعت فيها، واحتلت عليها



فشددت فاها وغرقتها وأخذت
جميع ماكان عليها من الحلي
والقمماش، وخشيت أن أرجع به
إلى منزلي فيشتهر خبرها، فأردت
الذهاب به إلى واسط، فلقيني
هؤلاء الخدم فأخذوني .
فقال: وأين حليُّها؟ فقال: في

صدر السفينة تحت البواري^(١) ،
فأمر الخليفة عند ذلك بإحضار
الحلي فجيء به فإذا حلي كثير
يساوي أموالاً كثيرة .

فأمر الخليفة بتغريق الملاح في
المكان الذي غرَّق فيه المرأة ، وأمر
أن ينادى على أهل المرأة

(١) هي الحصن من القصب .



ليحضروا حتى يستلموا مال
المرأة، فنادى بذلك ثلاثة أيام في
أسواق بغداد وأزقتها، فحضروا
بعد ثلاثة أيام، فدفعت إليهم ما كان
من الحلي وغيره مما كان للمرأة،
ولم يذهب منه شيء .

فقال له خدمه: يا أمير
المؤمنين من أين علمت هذا؟
قال: رأيت في نومي تلك الساعة
شيخاً أبيض الرأس واللحية



والثياب وهو ينادي: يا أحمد يا
أحمد، خذ أول ملاح ينحدر
الساعة فاقبض عليه، وقرّره عن
خبر المرأة التي قتلها اليوم
وسلبها، فأقم عليه الحد، وكان
ما شاهدتم^(١).

وهكذا نبّه الله تعالى الخليفة

(١) البداية والنهاية ١١/ ٩٤.



المعتضد بذلك الشيخ الجليل
الذي رآه في المنام، وذلك من
فضل الله جل وعلا عليه حتى
لا يقع تحت إمارته ظلم من غير
أن يعلم، إذ أن جرأة ذلك الملاح
على قتل تلك المرأة وسلبها من
مظاهر نقص الأمن وضعف
الحراسة، فأنقذ الله تعالى المعتضد
من مسؤولية ضياع تلك المرأة
بتلك الرؤيا الصالحة، لأنه كان



حريصا على العدل وإنقاذ
المظلومين، فنبهه الله لتلك المظلمة
من باب الجزاء بالحسنى على
العمل الصالح .



نموذج من الشهامة والعدل

ذكر الحافظ ابن كثير في أخبار
أمير المؤمنين المعتضد بالله خبره مع
إمام مسجد ، وقد روى هذا الإمام
الذي يسمّى الخياط هذا الخبر فقال:
كان عندنا في جوارنا أمير تركي من
أعالي الدولة، وهو شاب حسن، فمرَّ
به ذات يوم امرأة حسناء قد
خرجت من الحمام وعليها ثياب
مرتفعة ذات قيمة، فقام إليها
وهو سكران فتعلق بها يريد لها



على نفسها ليدخلها منزله، وهي
تأبى عليه وتصيح بأعلى صوتها:
يامسلمون أنا امرأة ذات زوج،
وهذا رجل يريدني على نفسي
ويدخلني منزله، وقد حلف
زوجي بالطلاق أن لا أبيت في
غير منزله، ومتى بت ها هنا
طلقت منه ولحقني بسبب ذلك
عار لا تدحضه الأيام ولا تغسله
المدامع .

قال الخياط: ففقت إليه



فأنكرت عليه وأردت خلاص
المرأة من يديه فضربني بدبوس في
يده فشج رأسي، وغلب المرأة على
نفسها وأدخلها منزله قهراً،
فرجعت أنا فغسلت الدم عني
وعصبت رأسي وصليت بالناس
العشاء ثم قلت للجماعة: إن هذا
قد فعل ما قد علمتم فقوموا معي
إليه لننكر عليه ونخلص المرأة
منه، فقام الناس معي فهجمنا



عليه داره فثار إلينا في جماعة من
غلمانه بأيديهم العصي والدبابيس
يضربون الناس، وقصدني هو من
بينهم فضربني ضرباً شديداً
مبرحاً حتى أدماني، وأخرجنا من
منزله ونحن في غاية الإهانة .

قال: فرجعت إلى منزلي وأنا
لا أهتدي إلى الطريق من شدة
الوجع وكثرة الدماء، فنمت على
فراشي فلم يأخذني نوم، وتخيَّرت



ماذا أصنع حتى أنقذ المرأة من
يده في الليل لترجع فتبيت في
منزلها حتى لا يقع على زوجها
الطلاق، فألهمت أن أؤذن الصبح
في أثناء الليل لكي يظن أن
الصبح قد طلع فيخرجها من
منزله فتذهب إلى منزل زوجها،
فصعدت المنارة وجعلت أنظر إلى
باب داره وأنا أتكلم على عادي
قبل الأذان هل أرى المرأة قد



خرجت ثم أذنت فلم تخرج، ثم
صممت على أنه إن لم تخرج
أقمت الصلاة حتى يتحقق
الصباح، فبينما أنا أنظر هل تخرج
المرأة أم لا، إذ امتلأت الطريق
فرساناً ورجالة وهم يقولون: أين
الذي أذن هذه الساعة؟ فقلت:ها
أنا ذا، وأنا أريد أن يعينوني عليه،
فقالوا: انزل، فنزلت فقالوا:
أجب أمير المؤمنين، فأخذوني



وذهبوا بي لا أملك من نفسي
شيئاً، حتى أدخلوني عليه ، فلما
رأيتَه جالساً في مقام الخلافة
ارتعدت من الخوف وفزعت
فزعاً شديداً، فقال: ادْنُ، فدنوت
فقال لي: ليسكنْ رَوْعَكَ وليهدأ
قلبك. وما زال يلاطفني حتى
اطمأننت وذهب خوفي، فقال:
أنت الذي أذنت هذه الساعة؟
قلت: نعم يا أمير المؤمنين. فقال:



ماحملك على أن أذنت هذه
الساعة، وقد بقي من الليل أكثر
مما مضى منه؟ فتغرّ بذلك الصائم
والمسافر والمصلي وغيرهم.
فقلت: يؤمنني أمير المؤمنين حتى
أقص عليه خبري؟ فقال: أنت
آمن. فذكرت له القصة .

قال: فغضب غضباً شديداً
وأمر بإحضار ذلك الأمير والمرأة
من ساعته على أي حالة كانا



فأحضرا سريعا فبعث بالمرأة إلى زوجها مع نسوة من جهته ثقات ومعهن ثقة من جهته أيضا، وأمره أن يأمر زوجها بالعفو والصفح عنها والإحسان إليها، فإنها مكرهة ومعدورة. ثم أقبل على ذلك الشاب الأمير فقال له: كم لك من الرزق؟ وكم عندك من المال؟ وكم عندك من الجوار والزوجات؟ فذكر له شيئا كثيرا. فقال له: ويحك أما كفاك ما أنعم



الله به عليك حتى انتهكت حرمة
الله وتعديت حدوده وتجرات على
السلطان، وما كفاك ذلك أيضًا
حتى عمدت إلى رجل أمرك
بالمعروف ونهاك عن المنكر
فضربته وأهنته وأدميته؟ فلم يكن
له جواب. فأمر به فجعل في
رجله قيدٌ وفي عنقه غلٌ ثم أمر به



فأدخل في جوالق^(١) ثم أمر به
فضرب بالدبابيس ضرباً شديداً
حتى خَفَتَ، ثم أمر به فألقي في
دجلة فكان ذلك آخر العهد به.
ثم أمر بَدْرًا صاحب الشرطة أن
يحتاط على مافي داره من
الحواصل والأموال التي كان
يتناولها من بيت المال، ثم قال

(١) الجوالق كيس كبير من الصوف .

لذلك الرجل الصالح الخياط:
كلما رأيت منكراً صغيراً كان أو
كبيراً ولو على هذا - وأشار إلى
صاحب الشرطة- فأعلمني، فإن
اتفق اجتماعك بي وإلا فعلى ما
بيني وبينك الأذان، فأذن في أي
وقت كان ولو في مثل وقتك
هذا^(١).

(١) البداية والنهاية ١١ / ٩٥.



في هذا الخبر موقفان عاليان:
أولهما: موقف ذلك المؤذن
الصالح الذي أبى عليه إيمانه
القوي وشهامته العالية أن يترك
أخته في الإسلام فريسة لذلك
الوحش الغادر، فأنكر عليه
اعتدائه عليها وتلقى منه الإهانة
والضرب بالحديد، ولما لم يستطع
ردع ذلك الظالم بمفرده استعان
عليه بمن ناصره من جماعة



المسجد، فلما لم يستطع لامتناع
ذلك الظالم بغلمانه لم ييأس من
إنقاذ تلك المرأة المظلومة ولم تهدأ
نفسه ولم يغمض له جفن حتى
ابتكر تلك الحيلة الناجحة، فأذن
في جوف الليل ليوهم ذلك الظالم
بأن الفجر قد طلع .

وهكذا يصل المتقون
السابقون بالخيرات إلى تعريض
أنفسهم للأذى والهلاك في سبيل



إنقاذ إخوانهم المسلمين من الظلم
والعار .

إنهم ينظرون إلى كل أخت
مسلمة على أنها بمنزلة أمهاتهم
وبناتهم وأخواتهم، فيحبُّون
لإخوانهم وأخواتهم ما يحبون
لأنفسهم، ويكرهون لهم ما
يكرهون لها .

والموقف الثاني: موقف ذلك
الحاكم العادل الحازم أمير



المؤمنين المعتضد بالله، الذي تنبّه
لذلك الأذان الذي انطلق في
جوف الليل، مما يدل على يقظته
واهتمامه بأمور رعيته، ثم اهتمامه
بالقضاء على ذلك المنكر بصرامة
وشدة، ليكون في ذلك ردع
للظالمين المتجبرين .

من مواقف الأمير المنصور ابن أبي عامر

رحمه الله

هذا الأمير من أشهر أمراء
الأندلس، وقد ذكر ابن عذاري في
كتاب «البيان المغرب في أخبار
الأندلس والمغرب» عددًا من الأخبار
عن عدل هذا الأمير وشعوره
بالمسؤولية، ثم قال: ومن ذلك
قصة الجوهري التاجر، وذلك أن
رجلا جوهريًا من تجار المشرق
قصد المنصور من مدينة عدن



بجوهر كثير، وأحجار نفيسة،
فأخذ المنصورُ من ذلك ما
استحسنه، ودفع إلى الجوهري
التاجر صُرَّته، وكانت قطعة
يمانية. فأخذ التاجر في انصرافه
طريق الرَّملة على شط النهر، فلما
توسطها واليوم قَائِظٌ وعرقُه
مُنْصَبٌّ دعتَه نفسه إلى التبرّد في
النهر، فوضع ثيابه وتلك الصُّرة
على الشط، فمرت حدأةٌ،
فاختطفَت الصرة تحسبها لحماً



وصاعدت في الأفق بها ذاهبة
فقطعت الأفق الذي تنظر إليه
عين التاجر، فقامت قيامته وعلم
أنه لا يقدر أن يستدفع ذلك
بدعوى ولا بحيلة ، فأسرَّ الحزن
في نفسه، ولحقته لأجل ذلك علة
اضطرب فيها. وحضر الدفع إلى
التجار، فحضر الرجل لذلك
بنفسه، فاستبان له مابه من المهانة
والكآبة، وفقد ما كان عنده من
النشاط وشدة العارضة. فسأله



المنصور عن شأنه، فأعلمه
بقصته، فقال له: هلا أتيت إلينا
بحدثان وقوع الأمر؟ فكنا
نستظهر على الحيلة، فهل هَدِيت
إلى الناحية التي أخذ الطائر
إليها؟ قال: مرَّ مُشَرِّقًا على سَمْتِ
هذه الجنان الذي يلي قصرِكَ يعني
الرملة، فدعا المنصور شرطيه
الخاص به فقال له: جئني
بمشيخة أهل الرملة الساعة،
فمضى، وجاء بهم سريعًا،



فأمرهم بالبحث عمّن غيّر حال
الإقلال منهم سريعاً، وانتقل عن
الإضاعة دون تدريج، فتناظروا
في ذلك، ثم قالوا: يامولانا!
مانعلم إلا رجلاً من ضعفائنا
كان يعمل هو وأولاده بأيديهم،
ويتناولون السّقي بأقدامهم عجزاً
عن شراء دابة، فابتاع اليوم دابة
واكتسى هو وولده كسوة
متوسطة . فأمر بإحضاره من
الغد، وأمر التاجر بالغدو إلى



الباب، فحضر الرجل بعينه بين
يدي المنصور، فاستدناه والتاجر
حاضر، وقال له: سبب ضاع منا
وسقط إليك ما فعلت به؟ فقال:
هو ذا يامولاي؟ وضرب بيده إلى
حجزة سراويله، فأخرج الصرة
بعينها، فصاح التاجر طرباً وكاد
يطير فرحاً، فقال له المنصور:
صف لي حديثها. قال: نعم! بينا
أنا أعمل في جناني تحت نخلة، إذ
سقطت أمامي، فأخذتها، وراقني



منظرها، فقلت إن الطائر اختلسها
من قصرك لقرب الجوار،
فاحتزرت بها، ودعتني فاقتني إلى
أخذ عشرة مثاقيل عُيُونًا كانت
معهامصرورة، وقلت: أقل ما
يكون في كرم مولاي أن يسمح لي
بها. فأعجب المنصور ماكان منه،
وقال للتاجر: خذ صرتك،
وانظرها، واصدقني عن عددها.
ففعل وقال: وحق رأسك،
يامولاي، ماضاع منها شيء



سوى الدنانير التي ذكرها، وقد
وهبتها له. فقال له المنصور: نحن
أولى بذلك منك، ولاننقص
عليك فرحتك. ولولا جمعه بين
الإقرار والإنكار لكان ثوابه
موفوراً عليه. ثم أمر للتاجر
ب عشرة دنانير عوضاً من دنانيره
وللجنان بعشرة دنانير ثواباً لتأنيه
عن إفساد ما وقع بيده، وقال: لو
بدأنا بالاعتراف قبل البحث،
لأوسعناه جزاءً! قال: فأخذ



التاجر في الثناء على المنصور،
وقد عاوده نشاطه، وقال: والله
لأبشَّ في الأقطار عظيم ملكك،
ولأبين أنك تملك طير عملك
كما تملك إنسها، فلا تعتصم منك
ولا تؤذي جارك، فضحك
المنصور، وقال: اقصد في قولك
يغفر الله لك، فعجب الناس من



تلطف المنصور في أمره، وحيلته
في تفريج كربته^(١).

فهذا مثال على دهاء المنصور
ابن أبي عامر ودقة ملاحظته،
وهذا التفوق في النظر في القضايا
والبحث الدقيق في خفاياها
وملابساتها إنما هو بالدرجة
الأولى توفيق من الله تعالى لمن

(١) البيان المغرب ٢/ ٢٨٨ - ٢٩٢.

حملوا في أفكارهم هموم الأمة
وأصبح إحقاق الحق وإبطال
الباطل مطلبهم الكبير، فالذهن
في هذه الحال يتفتق عن أنواع من
مجالات الحلول التي يصل بها
صاحبها إلى حل القضايا المشكلة
ومعرفة الأمور المغيبة .

وقول التاجر «وَحَقَّ رَأْسُكَ»
خطأ يقع فيه بعض العامة لأن
الحلف بغير الله تعالى شرك
أصغر.



**من مواقف السلطان نور الدين محمود
رحمه الله**

من أخبار السلطان نور الدين
في العدالة أنه كان في يوم من
الأيام يلعب بالكرة في دمشق
فرأى رجلاً من أتباعه يحدث
آخر ويومئ بيده إليه، فأرسل إليه
يسأله عن حاله، فأعلمه أن له مع
نور الدين خصومةً حول بعض
الأملاك، وطلب حضوره إلى



مجلس القضاء للفصل في المسألة،
فتردد الغلام في عرض الموضوع
على نور الدين ولكن هذا ألح
عليه، فلما تبين له الأمر ألقى
العصا من يده وخرج من الميدان،
وسار إلى القاضي كمال الدين
وقال له: إنني قد جئت محاكماً
فاسلك معي ماتسلكه مع غيري،
فلما حضر المدعي ساوياً كمال
الدين بينه وبين خصمه، وإذ لم



يثبت ضده شيء قال للقاضي
ولكافة الحضور. هل ثبت له
عندي حق؟ قالوا: لا، قال:
اشهدوا أنني قد وهبت له هذا
المال الذي حاكمني عليه، وقد
كنت أعلم أنه لاحقٌ له عندي،
وإنما حضرت معه لئلا يظن أنني
ظلمته، فحيثما ظهر أن الحق لي
وهبته إياه .

قال ابن الأثير: تلك هي



غاية العدل والإنصاف بل غاية
الإحسان، وهي درجة وراء
العدل^(١).

وهكذا رأينا السلطان نور
الدين يضرب مثلا عاليا في
الخضوع لشريعة الله تعالى، وذلك
بسرعة الحضور عند القاضي

(١) الكامل في التاريخ ٩/ ١٢٥ .

حينما دعاه، وقد تَوَجَّ هذه المأثرة
العالية في العدل بمأثرة أخرى
في الإحسان حينما تنازل عن الحق
الذي خوصم فيه لمخاصمه مع
ثبوت حقه فيه، وهذا مثل جيد
في النزاهة والعفة .



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	مواقف في العدل والمسؤولية (٣)
٧	من مواقف أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز
٣٢	من مواقف طاووس بن كيسان
٣٧	من مواقف القاضي أبي يوسف
٤٢	من مواقف القاضي يوسف بن يعقوب
٤٧	من مواقف القاضي حفص بن غياث
٦٠	من مواقف أمير المؤمنين المعتضد بالله
٦٩	نموذج من الشهامة والعدل



٨٥	من مواقف الأمير المنصور بن أبي عامر
٩٦	من مواقف السلطان نور الدين محمود
١٠١	فهرس الموضوعات

